❐ قَالَ المُصَنِّفُ : (وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ : الدُّعَاءُ ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا ؛ كُلُّهَا للهِ تَعَالَى) .

📖 الشَّرحُ :

ذكر المصنِّفُ أنواعًا من العبادة ؛ ليُبيِّنَ أنَّها كلَّها للهِ سبحانَهُ وتَعَالَى ، ولا يجوزُ صرْفُ شيءٍ منها لغيرِهِ ، ومن ذلك :

● أولاً : الدُّعَاءُ :

معنى الدُّعَاءِ – لُغَةً – ([1]) : الدُّعاءُ – بالضمِّ ممْدُودًا – : الرَّغْبَةُ إلى الله – تَعَالَى – فيما عنْدَهُ من الخيرِ ، والابْتِهَالِ إليه بالسُّؤال ، ومنه قولُهُ – تَعَالَى –: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف:٥٥] .

❐ قَالَ المُصَنِّفُ : (وَالدَّلِيلُ : قَوْلُهُ – تَعَالَى– : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً)[الجن: ١٨] ؛ فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ ، وَالدَّلِيلُ : قَوْلُهُ – تَعَالَى– : (وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ الهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)[المؤمنون: ١١٧] ، وَفِي الْحَدِيثِ : (الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ) ، وَالدَّلِيلُ : قَوْلُهُ – تَعَالَى –: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)[غافر: ٦٠].

([1]) " تاج العروس " (٣٨/٤٦) .

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ : قَوْلُهُ – تَعَالَى –: (فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ : قَوْلُهُ – تَعَالَى – : (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)[الكهف: ١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُلِ : قَوْلُهُ – تَعَالَى – : (وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[المائدة: ٢٣].
وقوله : (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)[الطلاق : ٣]).

الشَّرْحُ :

- قَوْلُهُ : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي** ﴾ ، وهنا قال : ﴿ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ ، ولم يَقُلْ : عن دُعَائِي ؛ فدلَّ ذلك على أنَّ الدُّعَاءَ من العبادةِ .

- والحديثُ المذكُورُ – هُنَا – : « **الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ** » لا يصحُّ ([1]) ، **والصَّحِيْحُ** ؛ قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ** » ([2]) .

- وقَوْلُهُ : ﴿ **دَاخِرِينَ** ﴾ ؛ أي : أذلة صاغرين .

([1]) أخرجه الترمذيُّ في " **السُّنَنِ** " (٣٣٧١) ، وقال : « هذا حديث غريب من هذا الوجه ، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة » . وقد ضعَّفَهُ العلامة الألبانيُّ في " ضعيف الجامع " (٣٠٠٣) ، و " ضعيف الترمذي " (٣٣٧١) .

([2]) أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦) ، والبخاريُّ في « الأدب المفرد » (٧٢٤) ، والترمذيُّ (٢٩٦٩) ، و(٣٢٤٧) ، وقال : « هذا حديث حسنٌ صحيحٌ » ، وابن ماجه (٣٨٢٨) ، وصحَّحَهُ العلامةُ الألبانيُّ في « صحيح الجامع » (٣٤٠٧) ، و « الصَّحيحة » (٦/ ٣٢٦/١) .

○ الإِنْسَانُ الذِي يَدْعُو اللهَ هُوَ بِذَلكَ يَتَعَبَّدُ إِلَيْهِ :

لأَنَّهُ أظهَرَ افتقارَهُ ، وذُلَّهُ ، واحتياجَهُ ، وتبرُّؤَهُ مِن حَوْلِهِ وقوتِهِ في نَفْعِ نفسهِ ، أو نفعِ غيرِهِ ؛ فهذا التبرُّؤُ ، والافتقارُ ، والذُّلُّ عبادةٌ ؛ لأنَّ أصل العبوديةِ : الذلُّ ؛ فالعبد إذا قام يدعو الله ، ويتذلَّلُ إليه ، مع الشُّعور بافتقارِهِ ، واحتياجِهِ فى كلِّ لحظةٍ إليه ؛ فإنَّهُ يكون بهذا حقَّقَ الذُّلَّ ، وهو الشِّقُّ الأوَّلُ من العبوديةِ ؛ فتحقيقُ العبودية يكونُ بالحبِّ والذلِّ .

وكمثالٍ – أيضًا – : عبدٌ مريضٌ وقَفَ يتضرَّعُ ، ويسأل ربَّهُ أن يكشف عنه المرَضَ ويرفَعُهُ ؛ لعلْمِهِ أنَّهُ مَهْمَا ذَهَبَ لأَطِبَّاءِ العالم ولم يُقدِّرِ اللهُ لَهُ الشفاءَ ؛ فلن يُشْفَى من مرضِهِ ، وهذا تراهُ عند كثيرٍ من أصحاب الأمراضِ المزْمِنَةِ ؛ فإنَّهم يَذْهَبُون ، ويَقُومُون بالكَشْفِ الطبيِّ ، وَعَمَلِ الإشاعاتِ ، والتَّحَالِيْلِ ، وَيَظَلُّون هَكَذَا ؛ لأنَّ اللهَ قَدَّر عَلَيْهِمْ المرَضَ ؛ فإذا رفعَ العبدُ يَدَهُ بالدُّعَاءِ ، واستَغَاثَ بربِّهِ سبحانَهُ وتَعَالَى ؛ فإنَّ هذا يدلُّ على توحيدِهِ وإخلاصِهِ ؛ فهو – تَعَالَى – مَنْ يكْشِفُ الضُّرَّ ويَشْفِي ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي ، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا** » ([1]) .

فالطبيبُ ، والأدويةُ ، والإشاعاتُ ، والمستشْفَيَاتُ ؛ كلُّهَا أَسْبَابٌ في يَدِ رَبِّ العالمينَ ، يُحَرِّكُهَا كيْفَ يَشَاءُ ، ويأمُرُهَا بما شَاءَ ؛ فهو خالقُ السببِ ، وقد أمَرَهُ أَنْ يَعْمَلَ ، أَوْ لا يعملُ ؛ كلُّ هذه المعانى متعلقةٌ بالتوحيدِ ؛ فإذا لم ترسَخْ في قلْبِ العبدِ شَقِي في الدُّنيا والآخرةِ ؛ فيَشْقَى في الدنيا بالالتفاتِ إلى الأسبابِ ، وفي الآخرة يجِدُ نفسَهُ مع غير الموحدين ؛ إما بنقصِ التوحيدِ ، وإما بالخروج عن التوحيد بالكليَّةِ !! فيجَدُ نفسه في آخِرِ الأمر خاليًا من التوحيدِ ؛ لأنَّهُ فعل

([1]) أخرجه البخاريُّ (٥٦٧٥) ، ومُسْلِمٌ (٢١٩١) .

أفعالاً تنافيْهِ ؛ فيخْرُجُ من الملةِ ، أو ينقص توحيدُهُ ؛ فيبقى في مشكلةٍ خطيرةٍ ؛ لأنه سيقِفُ بين يدي اللهِ ، وعنده هذا الخللُ في توحيدِهِ ، والتوحيدُ هو الأصل الذي خُلق العبد لتحقيقه .

○ أقسامُ الدُّعَاءِ :

الدعاء قسمان ؛ كما قال أهل العلْمِ :

١- دعاء عبادةٍ .

٢-دعاء مسألةٍ .

● دعاءُ المسألةِ :

أنْ تَسأَلَ اللهَ - جلَّ في علاه - أن يُعْطِيَكَ سُؤْلَكَ ، ومأرِبَكَ ؛ فالعبدُ يسألُ ، ويقولُ : يارب أعطني ، يارب وسِّع عليَّ رزقي ، أو : يا رزاق ارزقني ، أو يا كريم أكرمني ، أو يا رحيم ارحمني ، أو يا تَوَّابُ تُبْ عليَّ ، وهكذا يسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يعطيَهُ سُؤْلَهُ ؛ فهذا هو دعاء المسألة : أن تسألَ اللهَ طلبَكَ ؛ فيعطيك ما تبغيْهِ .

●● دعاءُ العبادةِ :

هو التعبُّدُ إلى اللهِ بأسمائه الحُسْنَى وصفاتِهِ العلا ؛ كما قَالَ - تَعَالَى- : ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقولهُ : ﴿ **فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ ؛ أي : تعبَّدُوا إليه بهذه الأسماء ؛ فالعبْدُ يرجو ثوابَ اللهِ ، ويخاف عقابَهُ ؛ فيسأله أن يصرف عنه العذابَ ، ويُيَسِّرَ له التوبةَ النَّصوحَ ، التى لا رجوع بعدها ، ولا انتكاس ، وأن يَمُنَّ عليه بالإنابة ، وصدقِ اليقين ، وسلامة القلب.

ودعاء العبادة ؛ يدخلُهُ دعاءٌ آخَرُ - قد ذكره بعْضُ أهلِ العِلْمِ - ، وهو : (دعاء الثناءِ) .

● **ودعاءُ الثناءِ :**

هو أن تُثْنِيَ عَلَى اللهِ بغير طلبٍ ؛ كقول يونسَ عليه السلام ؛ لما حُبس فى بَطْنِ الحوت : ﴿ **لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء:٨٧] ؛ فهو عليه السَّلامُ لم يسأَلِ اللهَ – شيئًا – (بعينِهِ) ، ولكن دعاؤُهُ دعاءُ عبادةٍ ، يشمل ثناءً عليه سبحانَهُ ؛ فهو أثنى عليه ولم يسأل شيئًا معيَّنًا ؛ فاعترف بظلمِهِ ، وذنبِهِ ، وهذا عكسُ دعاءِ آدم ؛ فإنه قال : ﴿ **وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [الأعراف:٢٣] ؛ فآدم سأَلَ المغفرة ، ولكن يونس اعترف بذنبه بدون سؤالٍ .

● وأيضًا في (**دعاءِ الكَرْبِ**) في حديثِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ** » ([1]) ؛ فهذا كلهُ دعاء ثناءٍ ، لم يتضمن طلبًا ، ولكنه تضمن عبادة لله ؛ فهذا الدعاء يُرفع به الكربُ ؛ كما علَّمَنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فقد يأتى دعاء الثناء متضمنًا دعاء العبادة ، وهو أن تُثْنِي على الله بأسمائه وصفاته بغير طلبٍ .

● **آداب الدعاء :**

وهي التوجُّهُ إلى القبلة عند الدعاءِ ، وأن تكون على طهارةٍ ، وترفع يديك بالدعاء ؛ فأولاً : تُثْنِي على الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ، ثُمَّ تُصَلِّي على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ تسأَلُ الله مسألتك .

فهذه (**بعضُ**) آدابِ الدعاءِ ؛ حتى يكون مظنَّةَ استجابةٍ ، كما (**يجِبُ**) أن يكونَ مطعمُكَ ومشربُكَ حلالاً .. إلى غيرِ تلك الآدَابِ .

([1]) أخرجه البخاريُّ (٦٣٤٦) ، ومسلِمٌ (٢٧٣٠) .

فإذا رفع العبْدُ يدَهُ بالدُّعَاءِ ، وأَثْنَى على اللهِ ، ولم يتضمَّنْ دعاؤُهُ طلبًا ؛ **فَقَالَ – مثلاً –** : يا كريمُ ، يا رحيمُ ، يا عفُوُّ ، يا غفُورُ ، لا أُحْصِي ثناءً عليكَ ، أَنْتَ كَمَا أثنيتَ عَلَى نفسك ؛ فهذا دعاءُ (**عبادةٍ**) تضمَّن الثناءَ على الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته .

○ **إذن ؛ فالخلاصةُ** :

أنَّ هناك : دعاءَ (**عبادة**) ، ودعاء (**مسألة**) ؛ فدعاء **المسألة** : أن تسأل الله ما تريده ، ودعاء **العبادة** : أن تتعبد إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ، ويشمَلُ الثناء على الله سبحانه وتعالى .

○ ثُمَّ ذَكَرَ المصنِّفُ – بَعْدَ الدُّعَاءِ – : (الخَوْفَ) :

❑ **فَقَالَ** : (**ودليلُ الخَوْفِ** : ﴿ **فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ **[آل عمران:١٧٥]**) .

📖 **الخَوْفُ – لُغَةً –** : (خَوَفَ) الْخَاءُ وَالْوَاوُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الذُّعْرِ وَالْفَزَعِ. يُقَالُ : خِفْتُ الشَّيْءَ خَوْفًا وَخِيفَةً . وَالْيَاءُ مُبْدَلَةٌ مِنْ وَاوٍ ؛ لِمَكَانِ الْكَسْرَةِ . وَيُقَالُ : خَاوَفَنِي فُلَانٌ فَخُفْتُهُ ، أَيْ : كُنْتُ أَشَدَّ خَوْفًا مِنْهُ ([1]) .

واستدلَّ المصنفُ عَلَى أنَّ الخوف عبادةٌ ؛ الأصلُ فيها : ألاَّ تكون إلا لله ؛ لأنها من عُبُوديَّاتِ القُلُوب .

([1]) " مقاييس اللغة " (٢/٢٣٠).

فـ : (الخوفُ) محلُّهُ القلب ؛ فالذى يخافُ الله ؛ هل أحدٌ يرى خوفَهُ ؟ أو : هل أحدٌ يشعُرُ أنه يخشى اللهَ ؟ كلاَّ ؛ فهي مسألةٌ قلبيةٌ .

والأصْلُ في الخَوْفِ : ألاَّ يكونَ إلا لله ، ولكن هناكَ تَقْسِيْمَةٌ للخوفِ ؛ قسَّمه العلماءُ باستقراءِ نصوصِ الكتابِ والسنَّةِ .

● أقسَامُ الخَوْفِ :

١ - الخوفُ الطبيعيُّ :

إنَّ أيَّ إنسانٍ يخافُ خوفًا طبيعيًّا مثلاً تجدُهُ يخافُ أن يجلس بمفردِهِ ليلاً ، أو حينَ يسمعُ أصواتًا غريبةً ، أو يكونَ بجانبِهِ جارٌ شريرٌ ، وهو يخاف منه أن يؤذيَهُ ، أو يخاف إذا مَرَّ بجانبِهِ كلبٌ مسعُورٌ ؛ فهذا الخوفُ طبيعيٌّ ، ليس فيه شيءٌ محرمٌ ، ولا يقدَحُ في توحيدِهِ ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال عن موسى عليه السَّلامُ : ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص:١٨] ، وقال : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴾ [طه:٦٧] ؛ فالخوف شيءٌ موجودٌ عندنا ، بل وعند الأنبياءِ ؛ فلا إشكال فيه ، ولكنَّ المهِمَّ ألاَّ يَصِلَ إلى حدٍّ زائدٍ ؛ فينسى ربَّ الأسبابِ ، ويعتمدُ على الأسبابِ !!

٢ - الخوفُ المَذْمُومُ :

الخوفُ الذي يُؤَدِّي بِكَ إلى ترك الطاعةِ ، ومخالفة ربِّ العالمين ، وفِعْلِ المعاصي ؛ فهذا خوفٌ مذمومٌ ، يحاسَبُ صاحبُهُ ، ويعاقَبُ عليه ؛ فلا تَخَفْ إلاَّ من رب العالمين ؛ فلا يستطيع أحدٌ ضُرَّكَ ، وإن ضَرَّكَ أحدٌ ؛ فبإذن الله ، وبتسليطٍ منه ؛ فهذا اليقينُ لابُدَّ أن يكُونَ راسخًا في القَلْبِ ؛ حتَّى لا تَقَعَ في هذا الخَوْفِ المذْمُومِ .

٣ – خوفُ السِّرِّ :

كأن يخافَ شخصٌ من الأولياءِ وأصحابِ القبورِ ؛ فعُبَّادُ القُبُور يذهَبُون للقبر ، ويعتقِدُون أن صاحِبَ القَبْرِ يمْكِنُ أَنْ يَضُرَّهم ، أو يَنْفَعُهُم ؛ فيسأَلُوه الولَدَ ، ويسألُوه النجاةَ والشِّفَاءَ !! وهذا كلُّه كفرٌ بواحٌ .

فعندما يقفُ شخصٌ عند القَبْرِ ، وينادي صاحبَ القبرِ قائلاً : يا فلان ، أو يا بَدَوي ، أو يا سيدَة زينب ، أو ياشافعيُّ : أَعْطِنِي الولد ، أو اشفني ، أو اشف ولدي ؛ فهذا كفر بواحٌ ، ومن يفعل هذا ؛ فقد خرج من الملة بدعائِهِ غيرَ الله سبحانه وتعالى ؛ فمُجَرَّدُ أنك تتوجَّه إلى القبر في دعائك ، ولم تتوجَّهْ إلى القبلةِ ؛ فهذه بدايةُ الشركِ ؛ فـ (الذي ينبغي) في الدعاءِ : التوجُّهُ إلى القبلةِ ، وإذا سألت عابدَ القبرِ عن هذا ، وقلتَ له : ما هذا الذي تفعلُهُ ؟ يقولُ : هذه واسطةٌ بيني وبين اللهِ ، فقُلْ له : عُبَّاد الأصنام ومُشْرِكي العرب كانُوا يفعلون الذي أنت تفعلُهُ ، ويقولون الذي تقولُهُ !! كما جاء في أول سورة الزمر : ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ** ﴾ [الزمر:٣].

فـ (عُبَّاد القبور !!) يقولُونَ نَفْسَ الكلمةِ التي كان يقولُهَا عُبَّاد الأصنامِ :

فالذين كانوا يعبُدُون الصَّنَم يقولُونَ : هو يُقَرِّبُنَا من اللهِ ؛ أي : هو واسطةٌ بَيْنَنَا وبَيْنَ الله نصِلُ (بها) إليه ! فيأتُون اللاَّت والعُزَّى ، ويَطْلُبُون منهم ما يريدُون ، والدليل : أنهم قالوا : ﴿ **اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣)** ﴾ [الأنفال: ٣٢-٣٣] ؛ فكانوا يعلَمُون أنَّ اللهَ في السماء .

فهذا القائلُ – قيل : هو أبو جهل – ، قال : " **اللَّهُمَّ** " : والميم الجامعة –كما قال بعضُ أهل العلم – تدخلُ على اسم الجلالةِ ؛ فتُفِيْدُ جميعَ الأسماء ؛ فَسَأَلَ مَنْ في السَّمَاءِ أَنْ يُمْطِرَ عليه حِجَارةً ؛ فإذَنْ هو يعلم أنَّ الله في السماء ؛ حَتَّى لا يتخيَّلَ أحدٌ أنَّ مشركي العرب كانوا يعتَقِدُون أنَّ الأصنام التي هي مصنوعةٌ من حجارةٍ هي الآلهةُ فحسب ؛ بل كانوا يعْلَمُون أنَّ اللهَ – تَعَالَى– هو الذي خَلَقَ السَّموات والأرض ؛ كَمَا قال – تَعَالَى–: ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [لقمان:٢٥]، وقال :﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ [الزخرف:٨٧] ؛ فكان عندهم اعتقادٌ جازمٌ على ذلك ، وأنَّ هذه الآلهة وُسَطَاءُ وشُفَعَاءُ لهم عند الله ؛ فيعتقدون أن الأصنام تنفعهم وتضرهم ؛ فيُقَرِّبُونَ لها القرابين ، ويَذْبَحُون لها الذبائحَ ؛ كالذي يفعلُهُ عُبَّادُ القبور في هذا الزمانِ ممن يَنْتَسِبُون إلى الإسلام !!

ثُمَّ تَكَلَّم المصنِّفُ عن الرَّجَاءِ ، وَقَالَ :

(**ودليلُ الرَّجَاءِ : قَوْلُهُ – تَعَالَى– : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف:١١٠]**) .

الشَّرحُ :

الرَّجَاءُ لُغَةً : مصدَرُ قَوْلهم : رجوتُ فلانًا أرجُوهُ ، وهو مأخوذٌ من مادَّةِ (ر ج و) التي تَدُلُّ عَلَى الأملِ الذِي هُوَ نَقِيْضُ اليَأْسِ ، يُقَالُ : رَجُوتُ فلانًا ، رجْوًا ورجاءً ورجاوةً ([1]) .

([1]) " مختار الصحاح " (٢٣٥٢/٦) ، و " اللسان " (٣٠٩/١٤).

الرَّجَاءُ فِي الشَّرْعِ : النَّظَرُ إلى سِعَةِ رحمةِ اللهِ ، وقيل : هو الاسْتِبْشَارُ بجُودِ وَفَضْلِ الرَّبِّ تبارك وتعالى ، والارتياحُ لمطالعَةِ كَرَمِهِ .

وقيل : هو الثقةُ بجُودِ الرَّبِّ تَعَالَى ([1]) .

والرَّجَاءُ منه ما هو مَحْمُودٌ ، ومنه ما هو مذمومٌ :

الرَّجَاءُ المَحْمُودُ : هو الذي يقرِّبُك من الله ، وهو رجاءُ العبدِ أن يَعْفُوَ اللهُ عَنْهُ ، ويغفِرَ له ، ويقبَلَ توبتَهُ وأوبتَهُ ؛ فيفْعَلُ الطاعةَ مع الاجتهادِ ، وبذلِ الجُهْد ، واستفراغِ الوقت ؛ لِرضَا الله ، ثُمَّ يسأل الله القبول ؛ لأنَّهُ قد لا يُقْبَلُ لأيِّ خللٍ حَدَثَ أثناء الطاعة ؛ فتجِدُهُ يُطيعُ اللهَ ، ويصلِّي ويجتهِدُ في تأديتها ، وبعد الانتهاء منها ، وقد أَحْسَنَ ركوعها وسجودَها يدعو الله أن يقبلَ منه ، وهكذا في الصيام ، وفي كلِّ طاعةٍ من الطاعات تُؤَدِّيْهَا على الوجْهِ الذي يرضي الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم تسأل الله القبول ؛ فهذا هو الرجاء المحمود .

وأما الرجاءُ المَذْمُوم : هو أن ترجو من الله المغفرةَ والجنةَ والدَّرجاتِ العلا ، وأنت جالسٌ في مكانك لم تفعل شيئًا ، وهذا تلبيسُ إبليس ، وهذا هو رجاءُ الصوفيةِ ، ورجاءُ المرجئةِ ؛ فتجدهم لا يفعَلُون الطاعات ، ومع ذلك يقُولُون : نحن نرجو الله ، والله غفور رحيمٌ !! فهذا ضلالٌ مبينٌ، ومن وحي الشيطان .

ولكنَّ الرجاءَ المحمودَ -كما ذكرتُ - هو الرجاءُ المصحوبُ بِعَمَلٍ يُرْضِي اللهَ ، ويُرْضِي رسولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ سؤالُ اللهِ أن يقبل هذا العمل .

○ ثُمَّ ذَكَر المُصَنِّفُ التَّوكُّلَ ، وَقَالَ :

([1]) " مدارج السالكين " لابن القيم (١/٣٧) .

(ودليلُ التوكلِ : قولُهُ – تَعَالَى –: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٢٣] ، وقال – تَعَالَى –: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق:٣]) .

الشَّرحُ :

قولُهُ – تَعَالَى –: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ؛ فالتوكل شرطٌ في الإيمانِ ؛ فمن لم يحقق عبادة التوكل ؛ فإيمانه فيه خللٌ ، ولا نقولُ : إنه ليس بمؤمنٍ ، ولكن من كمال الإيمان أن يُحْسِنَ العبدُ توكُّلَه على ربِّهِ .

التوكُّلُ – لُغَةً – : قال ابْنُ سِيدَهْ : وَكِلَ بِاللَّهِ وتَوَكَّلَ عَلَيْهِ واتَّكَلَ استَسْلم إِليه .. يُقَالُ : تَوَكَّلَ بالأَمر إِذا ضَمِن القِيامَ بِهِ، ووَكَلْت أَمري إِلى فُلَانٍ ؛ أَي : أَلجَأْتُه إِليه ، وَاعْتَمَدْتُ فِيهِ عَلَيْهِ ، ووَكَّلَ فلانٌ فُلَانًا إِذا استَكْفاه أَمرَه ثِقةً بكِفايتِه ، أَو عَجْزاً عَنِ القِيام بأَمر نَفْسِهِ (١) .

التَّوكُّلُ في الشَّرْعِ : هو صِدْقُ اعتِمَادِ القَلْبِ عَلَى اللهِ (٢) .

أي : يَصْدُق قلبُه في اعتماده على ربه أَنَّهُ سيُعطيه سؤْلَهُ ، ويُيَسِّرُ أمرَهُ ، ويُعطيه مَا يُرِيدُهُ – إن شاءَ – ؛ سواءٌ في أمور الدنيا ، أو أمور الآخرة ، وكان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقُولُ : « **وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي** » (٣) ؛ فكان يسأل الله صلاح الدنيا ؛ لأنه لا يمكن أن ينصلِحَ دينُكَ في دُنْيَا غير مُنْصَلِحةٍ ؛ فلو كانَتْ عندك همومٌ وأمورٌ تُعَطِّلُكَ عن طاعة الله ؛ فتَسْأَلُ اللهَ أن يُصلح لك الدُّنْيَا ؛ حتى تستعينَ بها على طاعةِ الله .

---

(١) " لسان العرب " (٧٣٤/١١) .

(٢) " جامع العلوم والحكم " (٤٩٧) .

(٣) أخرجه مسلمٌ (٢٧٢٠) .

● أنواعُ التوكُّلِ :

١ – **التوكُّلُ على اللهِ تَعَالَى** : "وهو من تمامِ الإيمان ، وعلاماتِ صِدْقِهِ ، وهو واجبٌ لا يتمُّ الإيمانُ إلا بِهِ " ([1]) .

فالتوكل واجبٌ ؛ لأنه من أعمال القلوب ، ولكن من عنده خللٌ في التوكل ؛ أي توكله ضعيفٌ ؛ فهو مؤمنٌ ، ولكن إيمانه ناقصٌ ؛ لأنه معتمِدٌ على الأسبابِ ؛ لضعف إيمانه ، وأما الإيمان الكامل لا يكون إلا مع حسن التوكل على الله .

وقوله : ﴿ **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ : "**حَسْبُهُ** " ؛ أي : كافيه .

لو عَلِم الله صِدْقَ العبدِ في حُسْنِ توكُّلِهِ سيَكْفِيْهِ :

فلو أنَّ رجلاً يعمل عملاً محرمًا ، وأراد أن يتركه لله ، وخوفًا منه ، ولكنه ليس عنده مالٌ ؛ فنقول له : الرزَّاقُ هو اللهُ ، وقَدْ قَالَ – تَعَالَى –: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق:٢-٣] ؛ فتوكَّلْ عَلَى اللهِ ، وسيَرْزُقُكَ من حَيْثُ لا تحْتَسِب ؛ فاتْرُكِ العَمَلَ المحرَّمَ الذي فيه مخالفاتٌ شرعيةٌ ، واسأَلِ اللهَ من فضلِه ، وسيكفيك ، ولكنِ المشكلةُ أنك تجدُ الشَّخصَ ليس عندهُ يقينٌ أو حُسْنُ توكلٍ في أنَّهُ إذا ترك العمل سيعوِّضَهُ الله بعملٍ أفضلَ ، ليس فيه مخالفاتٌ شرعيةٌ ، أو يرزقُهُ من حيثُ لا يحتسب !!

فسبحانه وتَعَالَى قد يرزقُهُ بطريقةٍ لم تخطر له على بالٍ ، وربُّ العالمين سيدبِّرُ أمرَهُ ، وييسِّرُهُ ، ويوفِّقُهُ ، وسيُكْرِمُهُ ؛ لو أحسنَ التوكُّل عليه.

فلو علِمَ الله – وهو (العَلِيْمُ) – من قلبِ العبدِ أنَّهُ صَدَقَ في حُسْنِ توكُّلِهِ عليه ؛ سيكْفِيْهِ هذِهِ الأمورَ كلَّهَا .

([1]) " شرح الأصول الثلاثة " – لابن عثيمين – (ص:٤٢) .

● وقولُهُ : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾ ؛ أي : أنَّ اللهَ لا يُعْجِزُهُ شيءٌ في الأرض ولا في السَّمَاءِ ؛ فمَهْمَا ظَنَنتَ أنَّ مشْكِلَتَكَ كَبِيْرَةٌ ، ولَيْسَ لها حَلٌّ في اعتقادك البشريّ ؛ فيضعُفُ التوكل في قلبك ، ولكن لو أنك اعترفتَ أنَّ عقْلَكَ ضعيفٌ ، وبدنَكَ ضعيفٌ، وأموالك قليلةٌ ؛ فبهذه الأسباب التي تملِكُها لن تستطيع حَلَّ مشكلتك ؛ فلو نظر الإنسان إلى نفسه وقدراته وإمكاناتِهِ ؛ سيجد أن المشكلة أكبرُ من حَجْمِهِ ، ولكن لو ترك هذه الأمور ، ولم ينظر إلى إمكاناتِهِ ، ولا قدراتِهِ الضعيفةِ ، واعتمد على حولِ الله وقوتِهِ ، وبَدَأَ يستحضِرُ صفاتِ اللهِ ؛ من العزَّةِ ، والجبروتِ ، والقوَّةِ ، والقدْرَةِ ؛ فسَيَقُولُ : ما هذه المشكلَةُ – أو مشاكلُ العالم – بجانبِ قدرتِهِ – تَعَالَى – ؟! **والجوابُ** – بلاشكٍّ – : لا شيءَ .

ففي لحظةٍ يحُلُّ لك مشكلتَكَ :

قال – تَعَالَى –: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢] ؛ ففي لمحِ البَصَرِ يحُلُّ لك مشكلتَكَ ، ولكن إذا غَفَلَ القَلْبُ عن هذه الأمور ، وضَعُفَ اليَقِيْنُ فيهِ ، بالنَّظَرِ إلى الأسبَابِ ، وإلَى إمكاناتِهِ القاصِرَةِ ، وإلى قدراتِهِ الضعيفَةِ ، وإلى ما عنْدَهُ فقَطْ ؛ فَسَوْفَ يُصَابُ باليَأْسِ !!

ولكن في حالِ المشاكلِ العُضَالِ ، والمسائِلِ العظامِ ، التي ليس لها حلٌّ عندك إلاَّ أن تفعل الحرامَ ! وأنت واقفٌ بين أمرين : إما أن ترتكب المحرَّمَ ، وإما أنك ستَقَعُ في مشكلةٍ عصيبةٍ ؛ فأقول لك : هناك شيءٌ ثالثٌ أنت غافلٌ عنه ؛ ألاَّ وهو التوكُّل على الله ؛ فالإنسانُ يكونُ في حَيْرَةٍ ؛ إما أنَّهُ يستمرُّ في عملِهِ المحرَّمِ الذي فيه رشوةٌ ، وربًا ، وغشٌّ ، وغير ذلك ، وإما أنَّهُ لا يجِدُ ما يُطْعِم أولادَهُ ! ويكْفِي حاجةَ بيتِهِ ؛ فهو ينْظُرُ هكذا نظرةَ البشريّ الضعيفِ !! ولكن أين ربُّ العالمين ؟

لماذا لم تنظُرْ إلى قدرةِ ربِّ العالمين وصفاتِهِ ؛ فلو نظرتَ إلى هذه الصفاتِ ؛ من قدرةٍ ، وقوَّةٍ للهِ ؛ لتلاشَتْ عندَكَ كلُّ هذه المخاوفِ .

فالتوكُّلُ أمرٌ مهمٌّ ، وعبادةٌ عظيمةٌ من عبوديَّاتِ القُلُوب ، لا يتمُّ الإيمانُ إلاَّ بها ، ويرتَاحُ بِهِ العبدُ في الدُّنيا قبلَ الآخِرَةِ ؛ لأنَّهُ يعلَمُ أنَّ له ربًّا هو حَسْبُهُ ، وكافيْهِ .

٢ – التَّوكُّلُ على غَيْرِ الله في الأمُورِ الحَيَاتِيَّةِ العاديَّةِ :

فتتوكل على شخصٍ – مثلاً – ؛ ليوَزِّعَ أموالَ زكاتِكَ على الفقراء ؛ فهذه وكالَةٌ ؛ فليس في ذلك مشكلةٌ ؛ فالتوكُّلُ على غير الله فيما يتصرف فيه المتوكِّلُ ، بحيث يُنِيْبُ غيرَهُ في أمرٍ تَجُوزُ فيه النيابةُ جائزٌ .

فهناك أمورٌ تَجُوزُ فيها النيابَةُ ؛ فالتوكُّلُ – هنا – أنك تعتمِدُ على شخصٍ يُسيِّر لك مصلحةً معينةً .

وكمثالٍ : كلَّفْتَ أحَدَ (المحامين) ؛ لرفع قضيةٍ لك ؛ فأنْتَ – حينئذٍ – انتدبْتَهُ عنك لقضاءِ مصلحةٍ لك ؛ فهذا جائزٌ ، ليس فيه شيءٌ ، والنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكَّل بعضَ أصحابهِ عَلَى الصَّدَقَاتِ (١) ، وهناك أدلَّةٌ كثيرةٌ في الكتاب والسنة على جَوَازِ أن تُسْنِدَ عملاً للبَشَرِ في مَقْدُورهم ؛ فليس هناك إشكالٌ في ذلك.

ومِنَ (العلماءِ) مَنْ قَالَ : لا يجوز التوكُّلُ على غير الله – بإطلاقٍ – ؛ لأنَّ التوكُّلَ من أعمال القلوب التي لا يجوز صرفُهَا لغير اللهِ .

---

(١) فانظر – مثلاً – " صحيح " البخاري (برقم " ٢٣١١) – بَابُ إِذَا وَكَّلَ رَجُلًا ، فَتَرَكَ الوَكِيلُ شَيْئًا ؛ فَأَجَازَهُ المُوَكِّلُ فَهُوَ جَائِزٌ، وَإِنْ أَقْرَضَهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى جَازَ – .

وهذا صحيحٌ ؛ إن كان قلبُهُ معتَمِدًا على الوكيلِ ، أمَّا استعمالُ الوكيلِ كَسَبَبٍ ؛ فلا حَرَجَ ؛ لِما ذكَرْنَا من أدلةٍ ، والله أعلَمُ .

○ ثُمَّ ذَكَرَ المُصَنِّفُ (الرَّغْبَةَ والرَّهْبَةَ والخُشُوعَ) ؛ فَقَالَ :

(وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ : قَوْلُهُ – تَعَالَى– : (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ : قَوْلُهُ – تَعَالَى –: (فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...) الآية [البقرة: ١٥٠].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ...) الآية [الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ : قَوْلُهُ – تَعَالَى–: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: ٥] . وَفِي الْحَدِيثِ : (.. وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ) .

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ : قَوْلُهُ – تَعَالَى–: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) [الفلق: ١] ، و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) [الناس: ١].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ : قَوْلُهُ – تَعَالَى–: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ..) الآية [الأنفال: ٩]) .

📖 الشَّرْحُ :

● **الرهبةُ – لغةً – :** قَالَ اللَّيْثُ : رَهِبْتُ الشيءَ رَهَبا ورهْبَةً ؛ أَي : خِفْتُه، وأَرْهَبْتُ فلَانًا ([1]) .

وفي " لسانِ العربِ " : الرهبةُ : الخوفُ والفَزَعُ ([2]) .

● **وفي الشَّرْعِ :** هي من أثَرِ الخشيةِ ، وهي خوفٌ مقرونٌ بعمَلٍ ؛ فهي تحجِبُ العبدَ ، وتمنَعُهُ من الوقوع في المعصيةِ ؛ قال – تَعَالَى–: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا**

([1]) "تهذيب اللغة " (١٥٥/٦) .

([2]) " لسان العرب "(٤٣٦/١) .

وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ، كذا قال ربُّنَا عن الأنبياءِ ؛ فالخائف خوفًا عن علْمٍ ؛ فخوفُهُ يدفعُهُ إلى العَمَلِ .

● **والرغبَةُ – لُغَةً – :** رغِبَ فيه : أرداه بالحرص عليْهِ ([1]) .

وفي الشَّرْعِ : الرغبةُ فيما عند الله من الثوابِ ، والتَّجاوزِ عن السيئاتِ ، والعَفْوِ والمغْفِرَةِ ، ودخولِ الجنَّاتِ ؛ فهَذَا مَا نَرْغَبُهُ منه .

والخُشُوعُ – لغَةً – : السُّكُونُ والتَّذَلُّلُ ، ومنه : قولُهُ – تَعَالَى– : ﴿وخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمنِ﴾ [طه:١٠٨] ؛ أي : انخفَضَتْ ، وقيل : سكَنَتْ ، وكُلُّ ساكنٍ خاضِعٌ وخاشِعٌ ([2]) .

هو أن يكون العبد منكسرًا مفتقرًا إلى ربِّهِ يشْعُرُ بذِلَّتِهِ البشريَّةِ وفقْرِهِ ، وأنه لا يمْلِكُ لنَفْسِهِ شيئًا ، ولا قيمةَ له بدُون عونِ الله سبحانه إلى آخرِهِ من هذه الأحوال التي فيها انكسَارُ القلبِ والافتقارُ ، وبيانُ الذِّلَّةِ البشرية أمامَ اللهِ ربِّ العالمين.

● **ثُمَّ ذَكَرَ المُصَنِّفُ (الخَشْيَةَ) ؛ فَقَالَ :**

(**ودليْلُ الخشيَةِ** : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ [البقرة:١٥٠]) .

📖 **الشَّرْحُ : الخشْيَةُ – لُغَةً – :**

الخاءُ ، والشينُ ، والحَرْفُ المعتلُّ يَدُلُّ عَلَى خوفٍ ، وذُعْرٍ .. فالخشْيَةُ : الخوفُ ([3]) .

([1]) " الكليات " (ص : ٤٨٢) .

([2]) " تاج العروس " (٥٠٧/٢٠).

([3]) " مقاييس اللغة " (١٨٤/٢) .

وفي الشَّرْعِ : خَوْفٌ يَشُوبُهُ تَعْظِيْمٌ ، وأَكْثَرُ مَا يكُونُ ذلك عن عِلْمٍ بما يُخْشَى منْهُ ، ولذلك خُصَّ العلماءُ بها ؛ في قولِهِ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] ([1]) .

والدليلُ : ﴿ **فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي** ﴾ ؛ أي : لا يُخشى أحدٌ إلاَّ الله سبحانه وتعالى .

○ ثُمَّ ذَكَرَ المُصَنِّفُ (الإنابة) ؛ فَقَالَ :

(**ودليلُ الإنابةِ** : قولُهُ – تَعَالَى– : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [الزمر:٥٤]) .

الشَّرْحُ :

الإنابَةُ – لُغَةً – : أَنَابَ : تَابَ وَرَجَعَ ، وفي حديثِ الدُّعاءِ : « **وإليكَ أُنِيبُ** » ([2]) .

الإنابَةُ : الرجوعُ إلى اللهِ بالتَّوْبَةِ ، وفي التَّنْزِيْلِ – العَزِيْزِ – : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ [الروم : ٣١] ؛ أي : راجعين إلى ما أَمَرَ بِهِ ، غَيْرَ خارِجِيْنَ عن شيءٍ من أَمْرِهِ .. وقال غَيرُهُ : أَنَابَ : رجع مرة بعد أخرى ، ومنه النَّوْبَةُ ؛ لتكرارها ([3]) .

وفي الشَّرْعِ : هي الرجُوعُ من المعصيةِ إلى الطاعة ، والقيام بطاعةِ اللهِ وأوامرِهِ ؛ كما يحبُّ ويرضى ؛ فيتركُ العبدُ المعصيةَ ، ويتجَنَّبُهَا ؛ إرضاءً ؛ لربِّ العالمين ، ورغبةً فيما عنده من الثوابِ ﴿ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ ؛ **فالإسلام في القرآن نَوْعَانِ ([4]) :**

([1]) " المفردات " للراغب (ص:١٤٩).

([2]) أخرجهُ البخاريُّ (١١٢٠) ، ومسلمٌ (٧٦٩) عن ابن عبَّاسٍ ، بلفظ : " وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ".

([3]) " تاج العروس " (٤/٣١٥-٣١٦).

([4]) انظر : " شرح الأصول الثلاثة " – لابن عثيمين – (ص : ٦١) .

● **الأولُ : إسلامٌ كونيٌّ :**

وهو الاستسلامُ لكلِّ ما قدَّرَهُ اللهُ عليك (كوْنًا) ، من مصائبَ وابتلاءاتٍ ؛ فكلُّ ما قُدِّر عليك ، أنت مُسْتَسْلِمٌ له ؛ لأنك تعلم أنه من عند ربِّ العالمين.

● **الثاني: إسلامٌ شرعيٌّ :**

وهو الاستسلامُ لأوامِرِ اللهِ ، بأن تطيعُهُ فيما يأمُرُ ، وتَنْتَهِي عمَّا نَهَى عنهُ وزَجَرَ.

وإذا جاء الاسلامُ (مقيدًا) في القُرآنِ ؛ فالمقصودُ به : شريعة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإذا جاء (مطلقًا) ؛ فالمقصُودُ به : الاستسلامُ لأوامِرِ الله ؛ سواء كان في شريعتنا ، أو غير شريعتنا ؛ قال – تَعَالَى – لإبراهيم عليه السَّلامُ :﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [البقرة:١٣١] ؛ فـ : (أَسْلِمْ) – هنا – معناها : استسْلِمْ ، وأطِعْ أمْرَ الله سبحانه وتعالى ، وليس المقصودُ به شريعةَ نبيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فإذا ذُكر الدينُ (مقيدًا) ، مثلُ قولِهِ – تَعَالَى –: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ [آل عمران:١٩] ؛ فهنا المقصودُ : شريعتُنَا ؛ شريعة النبيِّ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي جاء بها من عند الله .

○ **ثُمَّ ذَكَرَ المُصَنِّفُ بَعْدَ ذَلك (الاسْتِعَانَةَ) ؛ فَقَالَ :**

(ودليلُ الاسْتِعَانَةِ : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة:٥] ، وفي الحديثِ : « **إذا استعنْتَ ؛ فاستعن بالله** » ([1])).

الشَّرحُ 📖 :

الاستعانةُ في اللُّغَةِ : مصدَرُ (استعان) ، وهُوَ من العونِ ، بمعنى : المعاونة والمظاهرة على الشيء ، يقالُ : فلان عوني ؛ أي : معيني ، وقد أعنتُهُ ، والاستعانة : طلب العون ([2]) .

واعلم أنَّهُ إذا قُدِّم ما حقُّهُ التأخيرُ ؛ فإنه يُفِيدُ الحصْرَ ؛ كما في قولِهِ : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ ؛ فحقُّ (**الاستعانةِ**) أن تكون – أولاً – ، ثُمَّ (**العبادة**) ؛ لأنك تستعين بالله ، وتطلب منه العون على أمور الدين ، أو أمور الدنيا ، ولكن في الآية ؛ قُدِّمت (**العبادةُ**) على (**الاستعانة**) .

● **فَلِمَاذَا قُدِّمَتِ العِبَادَةُ عَلَى الاستعانَةُ ؟**

● **والجوابُ** : حتَّى يُعْلِمَكَ ، وَيَدُلَّكَ على أنَّ القَصْدَ من الاستعانةِ ، والأعمالِ ، والأفعالِ ، وكلِّ ما تقُومُ به هو : توحيدُ الله ربِّ العالمين – أي : توحيد العبادة – ؛ فأنت تستعين ، وتسأل اللهَ العَوْنَ ، ثُمَّ تقُومُ للصَّلاة – مثلاً – ؛ خاصةً حالَ المرضِ ؛ فالعبدُ في حالِ مرضِهِ يكونُ لا حَوْلَ له ولا قوة ؛ فيستعين باللهِ ؛ حتى يُعينَهُ على الطاعةِ ؛ فالاستعانة – أولاً – ، ثُمَّ العبادة ؛

([1]) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣، ٣٠٣)، والترمذيُّ (٢٥١٦)، وقال الترمذيُّ : «حديث حسن صحيح» ، وأبو يعلى (٢٥٥٦) ، والحاكم (٣/ ٦٢٤)، والطبرانيُّ في «الكبير» (١١/ ١٧٨) و (١٢/ ٢٣٨)، وصحَّحَه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧)، و «المشكاة» (٥٣٠٢) .

([2]) " اللسان " (٣٧٩/٥).

فقدَّمَ ربُّ العالمين (العبادة) على (الاستعانةِ) ؛ حتى يُعْلِمَك ويُبيِّنَ لك أنَّ أصلَ كلِّ ما تعملُهُ لتوحيدِ اللهِ الواحدِ الأحَدِ .

فهؤلاء الذين يُلَبِّسُون على المسلمين دينَهُم ؛ فيقولُون : ليس أمامَكُم طُوالَ النَّهارِ إلاَّ الكلام عن الله !! فإذا دخلْتُم الخلاءَ قلْتُم دعاءً ، وإذا خرجتم قلْتُم دعاءً آخَرَ ؛ فكُلُّ خطوةٍ – لكم – تقولون فيها شيئًا !!

إنَّ هؤلاءِ القومَ – وبكلِّ ألمٍ – اعتقادُهُم هو : أَنَّهم إذا صلُّوا ، وصامُوا ، وحَجُّوا ؛ جازَ لهم أن يفْعَلُوا بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَحْلُوا لهم في حَيَاتِهِم !!

إنَّ هؤلاء لم يفهَمُوا (شيئًا !) عن ربِّ العالمين ؛ فهم مُسْلِمُون بالاسْمِ فَقَطْ !!

لابُدَّ أن نعلمَ أنَّ المقْصِدَ الأَعْلَى والأَسْمَى الذِي أَتَيْنَا مِنْ أَجْلِهِ في الدُّنْيَا هو عِبَادةُ الله ؛ فهذه هي الغاية ، وكلُّ ما في الكون وسيلةٌ ؛ لتحقيقِ هذه الغايةِ .

الاستعانَةُ بالمَخْلُوقِ :

جائزةٌ ؛ لكن لها شروطٌ ، وهي : أن يكون المستعانُ به حيًّا حاضرًا سميعًا قادرًا ؛ فإذا توافرت هذه الشروط ؛ جازتِ الاستعانة بهِ ، وإذا لم يكن قادرًا ؛ فهي لغوٌ ؛ **فمثلاً** : إذا قلْتَ لأحدٍ : ساعدني في رَفْعِ هذا المكتبِ ؛ كي أجلسَ ؛ فأنا بذلك استعنتُ بهِ ؛ فكلمَةُ (الاستعانة) معناها : طلب العون – كما ذكرنا – ؛ فأنا طلبتُ منه المعاونَةَ على فعلِ ذلك الأمْرِ ؛ فإذا كان في مقدورهِ ؛ فلا مانع من ذلك ، ولكن إذا في غير مقدوره ؛ فكيف أطلبه منه ؛ بل أنا بذلك دخلت في الشرك ؛ لأني اعتقدْتُ فيه ما ليس له !!

وكمثالٍ آخر : إذا طلب والدٌ من طبيبٍ أن يُجْرِيَ عمليَّةً لولدِهِ ؛ فطلبَ منه ؛ لأنه سببٌ ، ولكن إذا اعتقد أن هذا الطبيب له القدرةُ على شفاءِ ابْنِهِ بنفسِهِ ؛ فهنا لا يجوز ؛ لأن هذا شيءٌ ليس في مقدروهِ ؛ لأن الله هو الشافي ، وغيرُهُ أسبَابٌ ؛ فأنا أستعينُ بما في مقدور البشرِ ؛ فهذا ليس فيه إشكالٌ ، ولكن كوْني أستعينُ بالبَشَرِ ؛ فيما لا يقدِرُ عليه البَشَرُ ؛ فَهَذَا شِرْكٌ بالله . كأن تستعينَ بِهِ أن يُغَيِّرَ الجَوَّ ، أو أن يأتِيَ بالشمس من ناحيةٍ أُخرى ؛ فهو لا يقدِرُ على ذلك؛ فله قدرةٌ محدودةٌ ؛ لأنه بَشَرٌ ؛ فاستَعِنْ بِهِ في حدودِ قُدراتِهِ البشرية التي أعطاها الله له ؛ فما فوق هذا ندخُلُ في شركيَّاتٍ .

لذلك ؛ فمن يقف أمام قبرٍ ، ويطلبُ من صاحبه الشفاءَ ، أو الولد ، أو رفع الكربِ والبلاءِ ، أو امرأةٌ تطلبُ الإصلاح بينها وبين زوجها ؛ فكلُّ هذا شركٌ ؛ لأنهم استعانوا بِصاحبِ القبرِ في غير مقدوره ، وكذلك إذا ذهبتِ امرأةٌ إلى كاهنٍ ، أو عرَّافٍ ، وسألَتْهُ حَلَّ المشكلةِ التي بيْنَهَا وبين زوجِهَا ، وطلبت مِنْهُ أن يعمل لها عملاً ، أو يُعْطِيَهَا حجابًا ؛ لكي يُصْلِحَ حالها مع زوجِهَا ؛ فهي حين سألَتْهُ شيئًا في غير مقدورِهِ ؛ دخلَتْ في الشركِ ؛ إذ هذا ليس من خصائصهم ؛ فليس من خصائص البشر : الشفاءُ ، ولا رفْعُ الكربِ ، ولا كشْفُ الضُّرِّ ؛ بل هذا كلُّهُ بيد اللهِ – وحْدَه – .

ثُمَّ ذَكَرَ المُصَنِّفُ الاسْتِعَاذَةَ ، فَقَالَ :

(**ودليلُ الاستعاذَةِ** : قولُهُ – تَعَالَى – : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق:١] ، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس:١]) .

الشَّرْحُ :

الاستعاذَةُ (أيضًا) من العبوديات ؛ فقولُهُ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ؛ أي : أنا أستعيذُ بربِّ الفَلَقِ ، وهو اللهُ ، وقولُهُ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ؛ أي : أستعيذُ بربِّ الناسِ .

فالاستعاذَةُ – لُغَةً– : يُقَالُ : عاذ فلانٌ بربِّهِ يعوذ عوذًا ؛ إذا لجأ إليه ، واعتصم به ([1]) .

وفي الشَّرْعِ :

- قال ابْنُ كثيرٍ : " والاستعاذَةُ هِي : الالتجَاءُ إلى الله ، والالتِصَاقُ بجنابِهِ من شرِّ كلِّ ذِي شرٍّ ، والعياذَةُ : تكونُ لدفع الشَّرِّ ، واللياذُ : يكون لطلب جلبِ الخَيْرِ " ([2]) .

فيلتجِئُ العبدُ إلى ربِّهِ ، ويلتصِقُ بجنابِهِ ؛ لدفع كلِّ ذي شرٍّ عنه ؛ فإذا قلْتُ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيمِ ؛ أي : ألْتَجِئُ ، وأَعْتَصِمُ ، وأتَمَسَّك بالله ربِّ العالمين أن يصرف عني كيد الشيطان الذي قد يُفْسِدُ عليَّ صلاتي ، أو تلاوتي للقرآن ، أو أي عبادةٍ أفعَلُهَا .

ماذا يفعَلُ الشيطانُ عندما تبْدَأُ في الصَّلاةِ :

عندما تقفُ في الصلاة يأتي الشيطانُ ، ويقفُ أمامك ، ويمنعك من إقامة الصلاة ؛ فيصرف عنك حضورُ القلب ؛ فتكون مجرَّدَ أورادٍ ، وأذكارٍ ليست متضمنَةً لخشوعٍ وإخباتٍ وانكسارٍ ؛ فتخرج منها بلا ثمرة ؛ لأن الشيطان قد تسلَّط عليك فيها ، وهي أعظَمُ الشعائرِ ، وأعظَمُ العبادات التي تنصَلِحُ بها القلوبُ ، وينصَلِحُ بها حالُ العبدِ مع ربِّهِ ، والشيطانُ لا يريدُك أن تنصَلِحَ ، ولا تكون عابدًا ؛ بل يريدُ أن يكون إيمانُكَ مجرَّدَ أعمالٍ شكليَّةٍ ليس لها أثَرٌ في القلب ؛ فيقف بين يديك في الصلاة ؛ فيُوسْوِسُ لك ، وكلُّ شيءٍ قد نسيتَهُ يبدأُ يذكِّرُك بهِ ؛ فيقول لك

([1]) " تهذيب اللغة " (٣/٩٣).

([2]) " **تفسيْرُ** " ابن كثير (١/١١٤).

– مثلاً – وأنت في الصلاة : المفتاح الذي نسيت مكانَهُ هو في موضعِ كذا ، أو من كنت تريْدُ تعزيتَهُ من الناسِ ؛ فأنت لم تُعَزِّهِ ؛ فماذا تصنَعُ ؟ وتبْدَأُ تسترسِلُ معه في هذه المسألة ، وتجد نفسَك قد انتهيتَ من الصلاة ، وقد ضاع عليك تعقُّلُهَا ؛ فحينئذٍ تكونُ قد ضيَّعْتَ أعظمَ الشَّعَائِرِ !! و(**النَّتِيْجَةُ**) : عَدَمُ صلاحِ القَلْبِ ، مهما عَمِلْتَ من أعْمَالٍ .

الصلاةُ من أَقْوَى أسبابِ تقْوِيَةِ الإيْمَانِ :

فهي من أقوى الأسبابِ ؛ لتقوية الإيمانِ ، والاتصال بالله ؛ ففساد علاقتك بالله سببُهُ : ضياعُ الصلاة !! فصلِّ بطريقَةٍ صحيحَةٍ ، ولا تكُنْ ؛ كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسيءِ في صلاتِهِ : " **ارْجِعْ فَصَلِّ ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ** " (١) ؛ فاستَعِنْ باللهِ على أداء الصلاة ؛ كما يحبُّ اللهُ ، واستعِذْ بِهِ أن يَصْرِفَ عنك هذا الشيطانَ الذي يريْدُ أن يُفْسِدَ عليك صلاتَكَ .

الشَّرُّ لَيْسَ للهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى :

والمخلوقاتُ ؛ إما تكون خيرًا محضًا ، وإما شَرًّا محضًا ، وإما فيها خيرٌ وشَرٌّ ، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ** » (٢) .

فإذا قال أحَدٌ : هل اللهُ يخلُقُ الشَّرَّ ؟ نقول هناك :

شرٌّ مَحْضٌ : خلقَهُ الله ؛ مثل : الشيطان ، ولكِنْ خلْقُهُ لفائدةٍ ، وهي استخراجُ العبوديَّاتِ من القلبِ بأن تجاهِدَهُ ، وتمنَعَهُ من أن يُفْسِدَ عليك علاقتَكَ بالله ، وطاعتَكَ له.

وخَيْرٌ مَحْضٌ : وهم الملائكة ، لا يأتي منهم إلا الخَيْرُ.

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٧٩٣) ، ومسلمٌ (٣٩٧) .

(٢) أخرجه مسلمٌ (٢٧٠٨) عن خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةَ، تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ " .

وهناك خيرٌ وشَرٌّ : وهو الإنسانُ ؛ فبداخلِهِ الخير والشر ، والمؤمنُ يجتهد في أنْ يجعَلَ جانبَ الخيرِ هو الطَّاغِي على قلبِهِ .

- وقولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : « **أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ** » ؛ فيه دليل على أنَّ الكلام من صفات الله سبحانه وتعالى .

- **وقولُهُ : " التَّامَّاتِ " : لا تكون إلا بأمرين :**

١ – الصدق في الإخبار . ٢– العدل في الأحكام .

فإذا لم يكن صدقٌ في الخبر ، وعدلٌ في الحكم ؛ فلا تكن كلمات تامات.

فكَلِمَاتُ الله تامَّاتٌ ؛ لأن مَنْ تكلَّم بها هو الله ؛ فالقرآنُ كلام الله خرج منه .

وكلماتُهُ تامَّاتٌ ؛ لأنَّ القرآنَ صدقٌ ؛ قال – تَعَالَى– : ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا** ﴾ [النساء:١٢٢] ، وكلُّ أحكامه عدلٌ ؛ فالكلمات تشملُ العدلَ والصِّدْقَ ؛ فهذه هي الكلمات التامات ، ولا تكون إلا لله ؛ فأيُّ كلامٍ للبشرِ ؛ إما يكون فيه خللٌ في الصِّدْقِ ، أو خللٌ في الحُكْمِ ؛ فيمكن أن يتَدَخَّل في قضيَّةٍ ؛ ليحْكُمَ فيها ؛ فيحْكُم بغير عدلٍ ؛ حتى ولو لم يُرِدْ قَلْبُهُ أن يميل إلى شخصٍ على حسابِ آخر ، أو يتكلم بغير صدقٍ ؛ فليس عنده صِدْقٌ في الكلام ، ولكِنَّ الصِّدْقَ في الأخبار ، والعدْلَ في الأحكام لا يكون إلا للهِ .

هل يجوزُ أَنْ يَدْعُوَ العبدُ ربَّهُ بصفةٍ من صفاتِهِ ؟

نعم ؛ يجوز أن يدعُوَ الله بصفةٍ من صفاتِهِ ، ويستعيذَ بِها ، فصفات الله ليست بائنةً منْهُ ؛ فالله لم يزل ولا يزال متصفًا بصفاتِهِ ؛ فهي أزليةٌ أبديَّةٌ ؛ فإذا سأَلْتَ بِعِزَّةِ الله ؛ فهذا جائزٌ ، ولكن لا تَقُلْ : يا عزَّةَ الله ، أو يا رحمَةَ الله ، والدَّلِيْلُ :

١ – قَوْلُهُ – تَعَالَى– : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ، وقولهُ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾.

٢- وقال رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي** » ([1]) ؛ فاستعاذَ بعظمتهِ ، وهي صفةٌ من صفاتِهِ .

٣ - وكذلك ؛ قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ** » ([2]) .

فإذا أردتَ الرُّقْيَةَ ؛ فضَعْ يَدَكَ ، وقُلْ : بسْمِ اللهِ - ثلاث مرار - ، ثُمَّ قُلْ : « أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ » - سَبْعَ مَرَّاتٍ - ؛ فلو رقَيْتَ نفسَكَ ، أو رَقَيْتَ غيرك ؛ فقُلْ ذلك - أيضًا - .

فالمَقْصُودُ في الحديث ؛ قولُهُ : « أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ » ؛ فهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ اللهَ بصفَةٍ من صفاتِهِ ، وهي العزَّةُ والقُدْرَةُ .

٤ - وكذلك ؛ لما نزل على رسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] ، قَالَ : « **أَعُوذُ بِوَجْهِكَ** » ([3]) ؛ فوَجْهُ اللهِ صفةٌ من صفاتِهِ .

أما الاستعاذَةُ بالأمواتِ والأحياءِ الغَيْرِ القَادِرِيْنَ :

([1]) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤) ، والنسائي في " **السُّنَنِ** " (١٠٣٢٥) ، وأحمد (٤٧٨٥) ، وابن ماجه (٣٨٧١) ، وصححه الألباني في «صحيح النسائي ، وأبي داود» ، وغيرهما.

([2]) أخرجه مسلمٌ (٢٢٠٢) عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ ، وَقُلْ بِاسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ» .

([3]) أخرجه البخاريُّ (٧٣١٣) .

فهذا شِرْكٌ ؛ فالاستعاذَةُ لا تَكُون إلا بالله ؛ فقولُهُ – تَعَالَى – : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن:٦] ، والمعنى : أنه كان إذا نزل أحدُهُم في وادٍ أو منزلٍ أو مكانٍ ، وخاف على نفسِهِ قال : أعوذ بسيّدِ هذا الوادِي من شَرِّ ما فيه ؛ أي : رئيسِ الجنِّ الموجُودِ ؛ فبدلاً من أن يعوذ بالله كان يعوذ بالجنِّ ([1]) .

ولكن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَنَا أن هذه شركياتٌ محرمَةٌ ، وخروجٌ من الملة ؛ لأنَّ الإنسان لا يستعيذُ إلا بالله فيما لا يَقْدِرُ عليه إلا هُوَ سبحانه وتعالى.

الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة :

فكَمَا ذَكَرْنَا في الاستعانةِ ؛ كذلك في الاستعاذة أنَّ الإنسانَ إذا استعَاذَ بمخلوقٍ ؛ حيًّا حاضرًا سميعًا قادرًا ؛ فهذا جائزٌ ؛ مِثْلُ : أن يَطْلُبَ من شخصٍ أن يَرْفَعَ عنه شرًّا ؛ في مقدوره رفعُهُ ؛ فهذا جائزٌ ؛ كحريقٍ شبَّ في بيتِهِ ؛ فطَلَبَ المطافِئَ ؛ ليدفعوا عنْهُ هذا الشَّرَّ ، أو شخصٍ قاتِلٍ يُقتِّلُ في الناس ؛ فاستَعَذْتَ بأحدِ الأشخاصِ الأقوياءِ أن يَقِفَ له ، ويمنَعَهُ من هذا الشَّرِّ ؛ فهذا جائزٌ ؛ إذا كان في مقدورِ الإنسانِ ، ولا مانَعَ منهُ – شرعًا – .

([1]) روى ابْنُ أبي حاتمٍ في " **تَفْسِيْرِهِ** " (برقم : ١٩٠٠٠) عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ : كَانَ الْجِنُّ يَفْرَقُونَ مِنَ الْإِنْسِ كَمَا يَفْرَقُ الْإِنْسُ مِنْهُمْ أَوْ أَشَدُّ، وَكَانَ الْإِنْسُ إِذَا نَزَلُوا وَادِيًا هَرَبَ الْجِنُّ، فَيَقُولُ سَيِّدُ الْقَوْمِ: نَعُوذُ بِسَيِّدِ أَهْلِ هَذَا الْوَادِي. فَقَالَ الْجِنُّ: نَرَاهُمْ يَفْرَقُونَ مِنَّا كَمَا نَفْرَقُ مِنْهُمْ، فَدَنَوْا مِنَ الْإِنْسِ فَأَصَابُوهُمْ بِالْخَبَلِ وَالْجُنُونِ ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ : وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا .